منطقة واسط في العصور القديمة ٥٠٠٠ ق.م ـ ٦٣٧م

ا.م.د. محمد فهد القيسي
كلية التربية / جامعة واسط

المقدمة

في هذا البحث سنعمد الى مناقشة منطقة واسط في العصور القديمة – أي قبل تأسيس مدينة واسط في المئة الهجرية الاولى- وهي محاولة لاستخدام المنهج التاريخي (التقريبي) وذلك في حالة غياب الوثيقة التاريخية المباشرة ، لكن مع الاخذ بنظر الاعتبار ان تكون الآراء مستندة لمعطيات قوية وناهضة .

تقع منطقة واسط بين خطي العرض ٣٢-٣٤ وخطي الطول ٤٦- ٤٨ ،ضمن منطقة السهل الرسوبي الذي يمثل دلتا نهرا دجلة والفرات ، حيث يلتقيان مكونا سهلاً رسوبياً ، واسعاً طوله زهاء (٦٥٠كم) من الشمال إلى الجنوب. وتقع منطقة واسط ضمن الجزء الجنوبي من السهل الرسوبي ، وقريبة من مناطق الاهوار[١]، و يعود أقدم استيطان بشري لمنطقة السهل الرسوبي - التي تمثل منطقة واسط إحدى أجزاءه - في حدود (٥٦٠٠ ق.م) ومن هنا تبدأ القصة الأولى للحياة البشرية في هذه المنطقة .

وبما إن تل العبيد -الذي يقع على نحو ٤ أميال إلى الشمال الغربي من اور - يمثل أول دور للاستيطان البشري في السهل الرسوبي - حيث وجدت ذلك بعثة التنقيبات البريطانية في اور عام ١٩٢٦ ـ ١٩٢٧[٢]- فتكون منطقة واسط قد خضعت لنفس الظروف الاقتصادية والبشرية التي مر بها موقع العبيد ، فنظرة واحدة للخريطة الاثارية للعراق نجد إن منطقة واسط تقع على بعد (١٦٠) كم بخط مستقيم إلى الشمال من موقع العبيد الاثاري [٣]، ومن هنا يبدأ التاريخ الفعلي لمنطقة واسط ، أي منذ حوالي (٧٠٠٠) عام إلى الوراء.

وإذا جئنا لمناقشة الأدوار الحضارية والمجموعات السكانية التي سكنت المنطقة ، نجد إن أقدم مركز حضاري قريب من واسط كان مدينة لكش السومرية ،حيث تبعد عنها نحو (٩٠) كم ، وهذه المسافة يمكن أن تجعل منطقة واسط ضمن (المجال الحيوي) لهذه المدينة ، كما إن مدينة الدير القديمة - التي تقع أطلالها قرب بدره حاليا - تقع إلى الشمال الشرقي منها ، ومن ثم فان منطقة واسط الاثريه تقع بين مدينة لكش جنوبا ومدينة الدير شمالا ، وعليه يمكن القول إن هذه المنطقة تقع ضمن حدود مدينتي لكش والدير، فإذا وضحنا تاريخ هاتين المدينتين يمكن بذلك أن نتتبع تاريخ منطقة واسط في العصور القديمة ،سواء قبل التاريخ أو في العصور التاريخية .

ومن المدن القديمة الأخرى القريبة لمنطقة واسط هي مدينة (ملكيئوم)، التي يحتمل أنها تقع في مكان ما أسفل ملتقى ديالى بدجلة ، ولعلها اقرب إلى الكوت، وجاء منها مدونات بأخبار البناء والتشييد لأحد حكامها والمسمى (تاكل - ايليشو) وحاكم أخر باسم (ابق - عشتار)، وذكرت هذه المدينة في الحوادث المؤرخ بها من ملوك لارسا ولا سيما (كنكونم) الذي دمرها في عام حكمه التاسع عشر، كما ذكرها حمورابي في عام حكمه الخامس والثلاثون [٤]. وعند اتباع المنهج التحليلي للمصادر الأصيلة، فضلا عن اللجوء الى القياس والاستنتاج عند غياب الوثيقة المباشرة المتعلقة بالموضوع ، ففي محاولة توضيح تاريخ منطقة واسط منذ (٥٠٠٠ ق.م) وصعودا نجد الآتي :

منطقة واسط قبل الألف الثاني قبل الميلاد:

تميزت طبيعة ارض منطقة واسط بطابعين هما :الطابع الزراعي والطابع الرعوي ، لذلك يمكن القول أنها كانت مناطق رعي مفتوحة يستفيد منها الرعاة في رعي ماشيتهم ومع استيطان السهل الرسوبي ، نجد إن المنطقة تبعت بحكم قربها الجغرافي سلالة لكش، لذا سكنها السومريون بطبيعة الحال ، وقد استمرت المعلومات التاريخية قليلة ومعدومة حتى نحو (٣٠٠٠ ق.م) حيث بدء التدوين التاريخي وحكم السلالات في العراق القديم. ويذكر الأستاذ (كريمر) انه سبق السومريين مستوطنين للسهل الرسوبي أقدم منهم، وهم ما كانوا يعرفون بالفراتيين الأوائل ، وقد جاء من تراثهم اللغوي أسماء العديد من المدن والأماكن، ويعود اسم دجلة إلى تراثهم اللغوي، ومنه أخذت منطقة واسط اسمها الثاني (الدجيلة) فيما بعد. وكانت سلالة كيش الأولى أول سلاله سومريه حكمت بعد الطوفان، حيث يعود تاريخها تقريبا إلى نحو (٣٠٠٠ ق.م)[٥]. ويذكر أن أول حاكم سومري سجلت أعماله في اقصر أنواع الروايات هو ملك كيش (ايتانا) (Etana) ، ووصفه جدول الإثبات السومري للملوك انه : (هو الذي فتح كل البلدان) [٦].

ونستنتج من ذلك انه لم يفرض سيطرته على بلاد سومر فقط ، وإنما على البلدان المجاورة للعراق القديم ،وعليه يمكن القول إن منطقة واسط قد وقعت ضمن نفوذه . وكانت منطقة واسط تبعد عن مدينة كيش نحو (١٩٠) كم ، وقد تميزت هذه المنطقة كونها تقع على الطرق العامة إلى بلاد عيلام، وذلك من خلال وقوعها إلى الجنوب من مدينة الدير كما ذكرنا ذلك سابقا. وبصورة عامة يمكن القول أن اغلب ملوك العراق القديم ،الذين وحدوا القطر كله كانت منطقة واسط قد وقعت ضمن نفوذهم، وهؤلاء الملوك هم:

ميسانبيدا : مؤسس سلالة اور الأولى والذي نجح في ضم اغلب بلاد سومر إليه .

لوكالانيموندو: احد ملوك سلالة أدب[٧]، ومعروف عنه انه بسط نفوذه على جبال زاكروس[٨]، التي تقع الى الشرق من منطقة واسط.

ميسلم : وهو ملك كيش ،الذي قام بالتحكيم بين سلالتي لكش واوما[٩].

اياناتم : حاكم دولة لكش ، الذي شن حروبا ناجحة ضد مدينة اور والوركاء واكشاك وسيطر على منطقة عيلام [١٠]، وبما انه سيطر على بلاد عيلام فبطريق أولى كانت (منطقة واسط) - التي تقع بين منطقة لكش وبلاد عيلام - ستكون تحت سيطرته.

وبحسب الاستنتاج السابق، المتضمن إن اقرب دولة مدينة سومرية عن منطقة واسط هي مدينة لكش، فقد كانت منطقة واسط تقع على مجرى مشروع الري الكبير الذي شق من نهر دجلة منذ منتصف الألف الثالث قبل الميلاد، ولعل (انتمينا) حاكم لكش (٢٤٢٥ - ٢٣٩٥ ق.م) هو الذي شق هذا المشروع. ويذهب الأستاذ (فوزي رشيد) إن نهر الغراف الحالي يمثل هذه القناة، التي سميت في المصادر المسمارية بقناة دجلة[١١]، وهنا نجد إن منطقة واسط تقع ضمن نفوذ سلالة لكش الأولى بشكل واضح وصريح ، وإنها كانت تمر فيها القناة الاروائية التي تروي أراضي سلالة لكش الزراعية.

وبالعودة إلى مجرى نهر دجلة القديم نجد إن النهر غير مجراه (في منطقة الكوت) اذ كان فرعه الشرقي- وهو الآن المار بمدينة الكوت والعمارة- المجرى الأصلي للنهر في العصور القديمة ، ولكنه غير هذا المجرى في أواخر العهد الساساني إلى مجرى غربي هو مجرى الدجيلة ،الذي كان يمر بموضع كسكر وواسط ، لذا ظلت واسط مزهرة إلى حدود القرن السادس عشر الميلادي ، وحينما بدأ الماء يقل في هذا الفرع وبطلت صلاحيته للملاحة ، عاد النهر إلى مجراه الشرقي القديم، أي مجرى الكوت و العمارة، فاندثرت بذلك مدينة واسط[١٢].

ومن الملوك الذين وحدوا العراق القديم ومن ثم يحتمل أن منطقة واسط وقعت ضمن نفوذه كان (لوكال زاكيري) حاكم دولة (اوما)، الذي يذكر انه قام بفتوحات شملت كل ارض وادي الرافدين إضافة إلى سوريا القديمة، حيث يرد: عندما وهبه انليل، ملك كل البلدان وان السيادة والملكية على الوطن (سومر)، ووجه انظار الأمة إليه وجعل كل البلدان تنتظره [١٣] وجاء سرجون الاكدي، الذي استطاع توحيد القطر كله في دولة واحدة مركزية ، ثم أصبحت بلاد عيلام هدفاً له كي يفرض سيطرته عليها، إذ استطاع في إحدى الحملات اسر خمس أمراء عيلاميين[١٤]، وهنا نجد ملك آخر سيطر على بلاد عيلام التي تقع الى الشرق من منطقة واسط. ولأنه سيطر على سلالة لكش أيضا ينتج إن منطقة واسط قد وقعت تحت نفوذه ايضا ،لأنها تقع بين هاتين المنطقتين عيلام ولكش ومن ثم فان منطقة واسط وقعت ضمن النفوذ الاكدي.

وبعد الغزو الكوتي للعراق القديم وقعت واسط ضمن سيطرتهم ولكن تميزت بلاد سومر- التي تقع منطقة واسط ضمنها - بان السيطرة الكوتية فيها كانت شبه رمزيه ، حيث جاءت وثائق عن سلالة لكش الثانية (٢٢٠٠-٢١٠٠ق.م)، التي حكمت تحت التسلط الكوتي بشكل ذاتي- وبرز فيها حاكمها السادس (كوديا) الذي وصلت كتابات عنه تذكر انه بسط نفوذه على نفر والوركاء ، وانه جهز حملة لسلب المدينة العيلامية (انشان)[١٥].

وحسب نفس الاستنتاج نجد ان (منطقة واسط) وقعت ضمن النفوذ السياسي لسلالة لكش الثانية، وما يعزز هذا الطرح انه كان من الطرق المؤدية إلى الأقاليم الشرقية - ومنها عيلام - الطريق الذي يمر بمدينة دير (اودور - ايلو) وهي تلول العقر بالقرب من بدره، وكان يسير محاذيا لسفوح جبال زاجروس حتى يصل إلى مدينة (سوسه) (عاصمة عيلام) حيث كان طريقا حربيا، وكانت هناك مسالك أخرى إلى بلاد عيلام ، كالمسالك التي تقع في منطقة شرقي دجله في واديه الأسفل- أي جهات (الكوت والعماره والبصره)- وهنا نجد إن منطقة واسط كانت تقع على احد الطرق التي تربط بلاد سومر مع بلاد عيلام [١٦].

وبعد طرد الكوتيين على يد (اوتو حيكال) ومجيء سلالة اور الثالثة (٢١١٢ - ٢٠٠٤ ق.م) وبما وصلنا عن هذه السلالة كونها بسطت نفوذها على كامل اراضي العراق القديم ، نجد بذلك ان منطقة واسط قد خضعت لها. ومع نهاية هذه السلالة في (٢٠٠٤ ق.م) ودخول البلاد تحت السيطرة الاموريـة، تشظت وحدة البلاد السياسية ، وعاد البلد إلى حكم دويلات المدن، وهنا ينتهي (الألف الثالث قبل الميلاد)، ويبدأ (الألف الثاني قبل الميلاد).

منطقة واسط في الألف الثاني قبل الميلاد :

في الألف الثاني قبل الميلاد نجد منطقة واسط قد وقعت ضمن نفوذ اثنتين من دويلات المدن هما مملكة (دير) وسلالة (ملكيئوم) [١٧]، وبعد أن استطاع(حمورابي) من توحيد العراق القديم تحت حكمه في (١٧٦٣ ق.م)أصبحت منطقة واسط تحت نفوذه [١٨]. وفي سنة (١٥٩٥ ق.م) انتهت سلالة بابل الأولى على يد الحثيين لتبدأ سلالة بابل الثالثة (الحكم الكشي)، حيث وقعت منطقة واسط تحت نفوذها حتى عام (١١٦١ ق.م) إذ انتهت هذه السلالة على يد العيلاميين الذين دمروا بابل ونهبوا كنوزها واثارها .

وبعد ذلك استعاد الحكم أمراء سلالة (ايسن الثانية) الذين حكموا مدة قرن من الزمان (١١٦١ - ١٠٤١ ق.م) كان ابرز ملوكهم (نبوخذنصر الاول) الذي قام بغزو بلاد عيلام وقد سلك طريق الدير في ذلك ، ويظهر ان نبوخذ نصر الاول هذا توغل في داخل الاراضي العيلامية، لكنه اضطر إلى التوقف

ثم الانسحاب عند نقطة غير معروفه على وجه التحديد عند نهر الكرخه ، وذلك بسبب تفشي المرض بين جنوده .

ويذكر نص مسماري إن الملك (نبوخذنصر الأول) انسحب إلى مدينة تعرف بـ (كور ـ دور ـ ايل ـ سين) التي هي ربما (دو ـ آيل ـ سين) وتقع إلى الشرق من نهر دجلة[١٩]، وبذلك فهي تقع بين نهر الكرخة ومدينة الدير الى الشرق من نهر دجلة - أي إلى الشرق من منطقة واسط .

منطقة واسط في الألف الأول قبل الميلاد وما بعده: بعد سلالة بابل الرابعة خضع العراق القديم إلى نفوذ القبائل الارامية التي أسقطت سلالة بابل الرابعة ،ثم حكمت بابل السلالات الخامسة والسادسة والسابعة التي حكمت بين (١٠٣٨ ـ ٩٩١ ق.م) وكان عدد ملوكها سبعة ملوك .

تفاقم بعد سلالة بابل السابعة خطر المشيخات الآرامية ، حيث وصلت زمن سلالة بابل الثامنة إلى حد التضييق على مدينة بابل نفسها ، ثم حكمت سلالة بابل التاسعة التي حكمها ملك واحد اسمه (نابو ناصر) (٧٤٦ ـ ٧٣٤ ق.م)، وأصبحت بلاد بابل في عهده تحت السيطرة الأشورية في عهد الملك الأشوري (تجيلا تبليزر الثالث ٧٤٥ ـ ٧٢٧ ق.م)[٢٠] ،وهنا نجد إن منطقة واسط قد تبعت فعليا إلى الدولة الأشورية ، خاصة إذا عرفنا أن خلفاء(تجيلا تبليزر الثالث) قد قاموا بغزو بلاد عيلام التي تقع منطقة واسط على الطرق المؤدية لها.

وقد شهدت منطقة واسط مسرح العمليات العسكرية بين (مردوخ ابلا ادينا) وبين ملوك السلالة السرجونية الاشورية، حيث استطاع احد زعماء بابل المدعو (مردوخ ابلا ـ ادينا) (مردوخ بلادن)أن يستقل في مملكة بابل بتحريض من العيلاميين ومساعدتهم، واعتلى العرش في العام الذي جاء فيه سرجون الاشوري للحكم سنة (٧٢١ ق.م)، لذلك صمم سرجون على القضاء عليه وبدأ يغزو بلاد عيلام نفسها عام (٧٢٠ ق.م)، لكن يفهم من أحداث المعركة التي نشبت عند مدينة دير (قرب بدره) إنها لم تكن في صالح سرجون ،وقد استمر مردوخ بلادان في الحكم حتى (٧١١ ق.م) .

جاء سنحاريب الاشوري للحكم (٧٠٤ ق.م) مصراً على القضاء على تمرد مردوخ بلادان، وقد استطاع القضاء على جموعه سنة(٧٠٣ ق.م) وبعد ذلك صمم سنحاريب على غزو المدن العيلاميه بحرا وبرا ،فسلك طريق الاهوار الجنوبية وطهر الاجزاء الجنوبية من الثوار اتباع مردوخ بلادان [٢١]، أي أن منطقة الاهوار (البطائح) كانت مركزا لتجمع الثائرين على السلطة المركزية كما حصل في عصور لاحقة مثل: تمرد الزنج وعمران بن شاهين.

وعندما جاء الى الحكم (اسرحدون) ابن سنحاريب عمد إلى إجهاض ثورة في بلاد بابل قام بها ابن مردوخ بلادان سنة (٦٨٠ ق.م) والذي حاول الاستيلاء على منطقة (اور). وبعد مجيء (اشور

بانيبال) ابن (اسرحدون) (٦٦٨ - ٦٢٧ ق.م) إلى الحكم واجه ثورة عارمة في بلاد بابل ، حيث قاد الثورة اخو الملك نفسه (شمش - شم - اوكن) الذي عين ملكا على بابل من جانب ابيه(اسرحدون) والذي سعى إلى عقد تحالفات لمساعدته، كان من ضمنها تحالفه مع الاراميين في الأجزاء الجنوبية من العراق القديم [٢٢]، لذلك تكون منطقة واسط ضمن المناطق الجنوبية التي ثارت ضد (اشور بانيبال).

بعد قضاء (اشور بانيبال) على هذه الثورة قام بمهاجمة بلاد عيلام في صيف سنة (٦٥٣ ق.م) وتقدم بجيشه نحو عيلام سالكا الطريق الذي يمر عبر مدينة دير (قرب بدره) [٢٣]. وهنا نجد ان منطقة واسط ولمحاذاتها لمناطق الطرق المؤدية لبلاد عيلام سواء مدينة دير أو المسالك الشرقية كانت قريبة من هذه الأحداث .

وبعد انتقال الحكم إلى (نبوخذ نصر الثاني) وحكم سلالة بابل الحادية عشره(٦٢٦-٥٣٦ق.م) فان منطقة واسط ، وقعت ضمن نفوذها إلى سنة ٥٣٩ ق.م [٢٤]حيث احتل (كورش) الاخميني بابل ، وبذلك انتقلت السلطة إلى الإمبراطورية الاخمينية . وقد يثار تساؤل منطقي ، وهو لماذا لم نجد إلى الآن آثارا تعود إلى العصور القديمة في منطقة واسط سواء كانت قرى أو مدن؟ وللإجابة يمكن القول أن منطقة واسط وحسب الخريطة الاثارية للعراق القديم تقع بين نهري دجلة والفرات، ولم يكن يمر فيها في العصور القديمة مجرى نهر دجلة ، لذلك لم تكن تصلح للاستيطان البشري الدائم، بل كانت مناطق رعي طبيعية خاصة إذا سقطت الأمطار بكميات كافية .

كما كانت مياه نهر دجلة تطغى على هذه المنطقة بالفيضان مما يؤدي إلى غمر مناطق واسعة بالمياه، ثم تنحسر عنها مخلفة غدرانا وبركا تكون مقصدا لبعض الحيوانات البرية ومنها الغزلان، لذلك كانت منطقة واسط مناطق رعي و صيد في العصور القديمة .

ويمكن القول ان منطقة واسط وخاصة أجزاؤها الجنوبية كانت – ولا تزال - تمثل امتداد لمنطقة الاهوار بدليل وجود منخفضات طبيعية فيها تملأ عند سقوط الأمطار أو عند الفيضان .

إن قسم من هذه المنخفضات قريب جدا من موقع مدينة واسط الاثرية لذلك يمكن القول أن منطقة واسط كانت في العصور القديمة امتدادا لمنطقة الاهوار الجنوبية، وخاصة في أقسامها الجنوبية، فضلا عن ذلك فقد كانت مناطق رعي طبيعية ومناطق لصيد الغزلان ايضا، كما كانت تمر بها أو قريب منها اغلب الحملات العسكرية التي كان يقودها ملوك العراق القديم ضد عيلام .

وفي الحكم الاخميني للعراق القديم وقعت منطقة واسط ضمن الولاية الحادية عشر في الامبراطورية الاخمينية التي ضمت (٢٠) ولاية [٢٥].

انتهى العهد الاخميني بعد فتح الاسكندر المقدوني للشرق ،والعراق سنة (٣٣١ ق.م) ثم تلاه العهد السلوقي نسبة الى (سلوقس) احد كبار قواد الاسكندر الذين اقتسموا امبراطوريته من بعد موته في بابل سنة (٣٢٣ ق.م) ،حيث صارت سوريه والعراق وايران من ضمن حصة هذا القائد ،وبدأ العهد السلوقي بالنسبة إلى العراق القديم في (٣ نيسان ٣١١ ق.م) .

تميز هذا العهد بظاهرة بناء المدن الجديدة التي قام ببنائها الملوك السلوقيين ، حيث بنيت مدينة سلوقيه في حدود (٢٤٧ ق.م) التي تعرف بقاياها الان بـ (تل عمر) على ضفة دجلة الغربية مقبل (طيسفون) (طاق كسرى) على الضفة الشرقية ، وكانت سلوقية من اكبر مدن الشرق الأدنى آنذاك حيث قدر عدد سكانها بحدود (٦٠٠٠٠٠ نسمه) [٢٦]. وهنا نلاحظ انه ولأول مره تكون عاصمة جنوب ووسط العراق القديم مدينة تقع على نهر دجلة دون نهر الفرات .

ومن المدن السلوقية المهمة الاخرى التي انشأت على نهر دجلة كانت مدينة (كرخه) (كراكس) في منطقة (المحمرة). وعليه فان منطقة واسط وقعت بين مدينتين هما سلوقيه من الشمال التي تبعد عنها نحو (١٥٠ كم) وبين كاراكس من الجنوب، كما قامت في هذا العهد وفي القسم الجنوبي من العراق عند ساحل الخليج العربي دويلة اسمها (كراكينه) او (كراخينه) التي ورد ذكرها في المصادر السريانية بهيئة (ميسان)، حيث نالت استقلالها وانفصلت عن الدولة السلوقية في عهد انطيوخوس الثالث (٢٢٣ ـ ١٨٧ ق.م) بعد اندحاره على يد الرومان .

وتدرجت في النمو حتى غدت في العهد الفرثي (٢٢٦ ق.م) من الدويلات المهمة ، وكان جل سكانها من الاراميين [٢٧] ويمكن الاستنتاج بالاعتماد على الجغرافية التاريخية لمنطقة واسط أن هناك مدن قد أسست بعد السيطرة المقدونية في منطقة واسط ، حيث يرد ان السكندريه او (الاسكندريه) بلدة على دجلة بواسط قريبة منها [٢٨]. كما ان هناك مدنا في منطقة واسط كانت سابقة لمدينة واسط الحجاج مثل مدينة (سرابيط) وهي مدينة قديمة خربت بعمارة واسط ، وذكر إن الحجاج عندما بنى واسط نقل من هذه المدينة الاحجار لعمارة داره والمسجد الجامع [٢٩]، ويمكن الاستنتاج ان هذه المدينة تعود إلى الحقبة الساسانية .

وتذكر المصادر إن الملك الأول لدويلة ميسان وهو (هيسادسيس) (١٦٥ ـ ١٢١ ق.م) قد استطاع السيطرة على بابل، ومد سطوته على معظم بلاد الرافدين انتصاره على نائب الملك الفرثي في بلاد الرافدين المدعو (هميروس) [٣٠]. وبذلك فقد دخلت منطقة واسط تحت سيطرة مملكة ميسان في هذه المدة، ولكن هذه السيطرة لم تستمر فقد عادت القوات الفرثيه لتبسط نفوذها على العراق القديم ـ وبضمنه مملكة ميسان ـ عندما قام الملك (مثرداس الثاني) بإخضاع مملكة ميسان لسطانه بحدود (١٢٠ ق.م). وقد لعبت منطقة واسط دورا مهما في هذه المدة ذلك لوقوعها على الطريق البحري الواصل بين

موانئ الخليج العربي ومدينة سلوقيه ثم مدينة (طيسفون) التي شيدها الفرثيون لتكون عاصمة لهم في العراق .

كما يذكر انه زار المملكة – أي ميسان - (كان ينك) (Kan ying) مبعوثا من الملك الصيني (بان جاو) من سلالة (الهان) للاتصال بالامبراطورية الرومانية، و قد اتبع طريق القوافل ووصل الى (تياوجه) (Tiao –tche) أي ميسان في حدود (٩٧ ق.م) ووصف (يانك) المنطقة التي تقع فيها ميسان بان أرضها حارة وواطئة وبها من الحيوانات: الاسود والجاموس والكركدن ٣١، وبالطبع فان منطقة واسط كانت تمثل الامتداد الشمالي لها، وهنا نجد ان منطقة واسط وقبل (٢٠٠٠)عام من الآن كانت فيها من الحيوانات البرية تنوع كبير وقريب لما موجود في افريقيا حاليا. وقد كانت منطقة واسط تقع على احد الطرق التجارية المهمة وهو الطريق الذي يبدأ من مدينة (خاراكس) (المحمرة) ومدينة سلوقيه ثم يتصل بهمدان (اكبتانا القديمة) [٣٢].

ومع نهاية الحكم الفرثي، وبداية الدولة الساسانية بحكم العراق (٢٢٧ــ ٦٢٧ م) عدّل الساسانيون في النظام الإداري للعراق، اذ قسموا العراق إلى عدة استانات يتكون كل منها من عدة طسا سيج، وكانت (كوره) [٣٣]كسكر التي تشمل منطقة واسط تسمى (كورة استان شاذ سبور) وتتكون من اربعة طساسيج هي: طوسج الزندورد، وطوسج الثرثور، و طوسج الاستان وطوسج الجوازر[٣٤]. وهنا نجد ان أول استيطان ومدن محددة في منطقة واسط كانت مع بناء الساسانيين لمدينة (كسكر) التي كانت تقع على الجانب الشرقي من نهر دجلة .

وتميزت مدة حكم الساسانيين في واسط خاصة زمن (الملك قباذ الاول) (٤٨٨-٥٣١م) باتساع نهر دجلة وخاصة في منطقة واسط ـ اسفل كسكر ـ مما أدى إلى غرق كثير من الاراضي [٣٥]، وهذه كانت البداية لاتساع البطائح (الاهوار) في جنوب العراق[٣٦].

وقد تزامن ذلك مع تحول مجرى دجله من مجراه الشرقي المار بـ (العمارة) إلى مجراه المار بواسط، وقد يكون السبب في ذلك عائدا لترسب كميات كبيرة من الغرين في المجرى الشرقي مقارنة بانحدار الارض في مجراه الجنوبي ، فضلا عن وجود مجرى قديم في الموضع الجنوبي الذي كان احد مشاريع الارواء منذ منتصف (الالف الثالث قبل الميلاد) كما مر سابقا.

وما يعزز خبر البثوق في منطقة كسكر ما جاء في كتاب (فتوح البلدان) ، حيث يذكر البلاذري: (ان دجله كانت تصب الى دجله البصرة التي تدعى العوراء... فلما كان زمان قباذ بن فيروز انبثق في اسافل كسكر بثق عظيم ، حتى غلب ماؤه واغرق كثير من الاراضي العامرة)[٣٧]. ومن الامور جديرة الذكر فيما يتعلق بمنطقة واسط زمن الساسانيين ، انه ولد (مزدك) - وهو صاحب الديانه (المزدكيه)-

في مدينة (مذاريا) هي مدينة تقع على الشاطئ الشرقي لدجلة ، حيث توجد اليوم مدينة (الكوت) ، وكانت مدينة (مذاريا) عامرة حتى القرن الحادي عشر الميلادي و كان يسكنها اشراف الفرس[٣٨]. وهنا نجد أن منطقة واسط ، قد كانت زمن الساسانيين تحوي على مدينتين معروفتين هما (كسكر) جنوبا ،و (مذاريا) شمالا.

وفيما يخص مدينة (كسكر)، فقد ذكر (ياقوت الحموي) حولها : كسكر : معناها عامل الزرع ، عرفت بتربية الدواجن ، ويقال أن قصبة كسكر كانت تمتد من النهروان الى مصب دجلة في البحر، أي تقع ضمنها ميسان والبصرة، ومن ضواحيـها: المبارك و عبدسي و المذار ولغيا وميسان ودستمسان واجام البربر، وكانت من اقوى كور بلاد فارس وتضاهي كورة اصفهان، وبلغ خراجها اثني عشر الف الف مثقال ، وقيل سميـــت كسكر نسبة الى كسكر بن صهمورن الملك الذي هو اصل الفرس، وقيل انها تعني بلد الشعير بلغة أهل حران [٣٩]. وهنا نجد ان منطقة واسط زمن الساسانيين اصبحت ذات أهمية متنامية، وذلك لتحول مجرى دجلة نحوها وكذلك لانتاجها الزراعي ، وبناء المدن فيها مثل مدينتي كسكر ومذاريا ، بل وتبعت لها مدن قديمة مثل مدن ميسان وصولا إلى مصب دجلة في الخليج، بل وامتدت شمالا إلى حدود المدائن وذلك في منطقة النهروان. ودخلت منطقة واسط التاريخ الإسلامي بعد فتح المسلمين للعراق سنة (٦٣٧م)، وبذلك ينتهي نطاق الدراسة المفترضة في هذا البحث .

هوامش البحث

١طه باقر، مقدمة في تاريخ الحضارات القديمة، ط٢(بغداد: دار الشؤون الثقافية العامة، ١٩٨٦ م) جـ١ ،ص٢٠٧ .

٢طه باقر ، المقدمة ، ص٢٢٤.

٣ فوزي يونان ، أطلس العالم والوطن العربي ، الموصل ،٢٠٠٩،ص٣٦ .

٤ طه باقر، المقدمة،٤٢٥.

٥ Thorkild Jacobsen , The Sumerian King List , The University of Chicago Press , Tabl II.

٦ صموئيل نوح كريمر ، السومريون ، ترجمة فيصل الوائلي ، وكالة المطبوعات ، الكويت ،ص٥٧٤.

٧ ادب : مدينة تقع أطلالها في الوقت الحاضر في تل بسمايه ضمن محافظة الديوانية .(ينظر: طه باقر، المقدمة،جـ١، ص ٢٩٤).

٨ طه باقر، المقدمة ، ص٣١٢ .

٩ عبد الرضا الطعان ، الفكر السياسي في العراق القديم(دار الرشيد، بغداد، ١٩٨١) ، ص٢٨٧.

١٠ فوزي رشيد ، اوركاجينا ،بغداد ، دار الحرية،١٩٩٧م ، ص٢٠.

١١ المصدر نفسه ، ص٢٥.

١٢ طه باقر ، المقدمة ، ص٥٤.

١٣ جورج رو ، العراق القديم ، ترجمة حسين علوان ، بغداد ، ١٩٨٤ ، ص١٩٧.

١٤ The Cambridge History of Iran , 4ed , U.K Cambridge University press, 2004 , p.8.

١٥ هاري ساكز، عظمة بابل ، ترجمة عامر سليمان ، بغداد ، ١٩٧٩، ص٧٣

١٦ طه باقر ، المقدمة ، ص٣٣.

١٧ المصدر نفسه ، ص ٤٢٣ ـ ٤٢٥ .

١٨ هاري ساكز ، عظمة بابل ، ص٨٨ .

١٩ فاضل عبد الواحد علي ، "مملكة ايسن الثانية"(العراق في التاريخ)، بغداد ، ١٩٨٥ ، ص١١٠ .

٢٠ طه باقر ، المقدمة ، ص ٤٦٦.

٢١ هاري ساكز ، قوة اشور ، ترجمة عامر سليمان ، بغداد ، ١٩٩٩ ، ص١٣٤ .

٢٢ طه باقر ، المقدمة ، ص٥٦٩ .

٢٣ هاري ساكز، قوة اشور ، ص١٦٢ .

٢٤ جورج رو ، العراق القديم ، ص٥١٧ .

٢٥ طه باقر ، المقدمة ، ص٥٧٩ .

٢٦ طه باقر ، المقدمة ، ص٥٩٩ .

٢٧ طه باقر ، المقدمة ، ص٦٠٠ .

٢٨ جبار عبد الله الجوبيراوي ، تاريخ ميسان وعشائر العمارة ، مكتبة اليقظة العربية ، بغداد ، ب.ت، ص٢٦ .

٢٩ احمد جمال الدين "معجم جغرافية واسط" مجلة سومر ، جـ١ ، مج ١٣ ، ١٩٥٧ ، ص١٣٢.

احمد جمال الدين "معجم جغرافية واسط"، ص١٣٢ .

٣١ جبار الجوبيراوي ، تاريخ ميسان ، ص٣٨ .

٣٢ طه باقر، المقدمة ، ص ٥٩٩.

٣٣ الكورة : هي الصقع ويطلق على المدينة والجمع كور .(ينظر :ابو بكر الرازي، مختار الصحاح ،دار الكتاب العربي ،بيروت ، ١٩٨١،ص٥٨٣.

٣٤ ارثر كرستنس ، ايران في عهد الساسانيين ، ترجمة يحيى الخشاب ، القاهرة ، ١٩٢٧ ، ص٤٧٤ .

٣٥ عبد القادر المعاضيدي ،واسط في العصر العباسي ، دار الشؤون الثقافية ، بغداد،١٩٨٣، ص ١٣٤.

٣٦ ارثر كرستنس ، إيران في عهد الساسانيين ، ص٣٢٦ .

٣٧ البلاذري ، فتوح البلدان ، تحقيق صلاح الدين المنجد ، القاهرة ،مكتبة النهضة المصرية ، ب.ت ، جـ ،ص٣٥٨.

٣٨ ياقوت الحموي ، معجم البلدان ،بيروت ، دار احياء التراث العربي ، ١٩٧٩، جـ٢ ، ص٥٤ .

٣٩ الطبري ، تاريخ الرسل والملوك ،بيروت ،مؤسسة الاعلمي، ١٩٨٣، جـ٢ ، ص٦٣٠ .